آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة التاسعة عشرة، العدد الأول، الربيع و الصيف ١٤٣٧ هــ .ق، ٧١-٩٨

القرائن: قيمتها البلاغية الإبلاغية في سورة الواقعة

عليرضا محمد رضايي*

امين فتحي**

الملخص

القرائن ما يتمسک به في کل سياق لاستنباط معان ودلالات دون أخرى، أي تمنع القرائن من الخروج عن دائرة المعنى السليم والمطلوب والمراد. تتجسد القرائن بنوعيها اللفظية والمعنوية: کقرينة الترتيب، قرينة الأداة، قرينة الصيغة، قرينة الربط، قرينة التنغيم، قرينة الصنف، قرينة المطابقة، بترکيب العناصر اللغوية، أي بالعلاقات الائتلافية وبالسياقات وبالأحوال والمقامات؛ فکل مفردة تکتسب قيمتها المتطوّرة أوّلاً من خلال الترکيب أي بالائتلافية التي تحکمها الثقافة التعبيرية، ثانياً من خلال الوظيفة التي يحملها المبدع. فالوظيفة البلاغية لا تحصل إلّا بالتراکيب التي تظهر في کل حال ومقام والتي يريدها المتکلّم أو المبدع أو الکاتب على ما تقتضيه الأحوال والمقامات أو ما يحدّده هو بنفسه مِن المقتضي. فهذه المقالة بالمنهج الوصفي والتحليلي تجعل الثلاثة الأولى من القرائن، المذکورة آنفاً، محوراً للدراسة، على أساس العناوين التي أوردها يونس علي في کتابه *المعنى وظلال المعنى*، لتجسيد القيمة البلاغية الإبلاغية لتراکيب هذه السورة ولتجسيد الأبعاد التعبيرية الدلالية التي اکتسبتها التراکيب بائتلاف کلّ مفردة بأخرى. تدلّ مجموعة النتائج على أنّ نوعاً من التقابل يحدث بين الله وعباده. وأنّ کل أسلوب من الأساليب البلاغية يقوم بتمثيل أدوار متمايزة بمساعدة قرائن السياق والأحوال.

---

* عضو الهيئة التعليمة، جامعة طهران، فرديس الفارابي، amredhaei@ut.ac.ir

** طالب ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، فرديس الفارابي

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٢/١٤، تاريخ القبول: ١٣٩٥/٤/١٦

الكلمات الرئيسة: الائتلافية، الاستبدالية، الأغراض البلاغية، الصور البلاغية، سورة الواقعة.

١. مقدمة

لكل لغة بنية مترابطة فريدة، تأخذ عناصرها البنّائة، (أي الأصوات والمفردات والدلالات التي تبرز بتجزئة الجمل وتحليلها كوحدات بنّاءة) من علاقتها بسائر الوحدات في دائرة نظام تلك اللغة. فلا يمكن الفصل بين العناصر والعلاقات التي يمكن تقسيمها إلى الائتلافية والاستبدالية.

الاستبدالية هي العلاقات الموجودة بين الوحدات البنيوية (كالصيتة أو المصرّف) في نظام لغوي يمكن فيه أن تستبدل كل وحدة بأخرى في نفس تلك البنية أو النظام. والائتلافية هي علاقات تركيبية بين تلك الوحدات خاصة بين المصرفات والمفردات لإقامة نسبة ما. أي يتمّ فيها تأليف عنصر مع آخر لإفادة معنى، بل هي قائمة بين الوحدات اللغوية المتجاورة و«يترتب على وجودها تأثر الوحدات اللغوية بعضها ببعض، وإعطاؤها صورة جديدة في المبنى والمعنى لا توجد منفصلة» (يونس علي، ٢٠٠٧: ٥٨).

تحكم على كلّ لغة، ثقافة تعبيرية توجّه كيفية التراكيب وكيفية رصف مفرداتها داخل تلك التراكيب كما تحكم عليها إمكانيات تعبيرية تسمح للمبدع بإقامة رصف جديد، ضمن العلاقات الائتلافية والاستبدالية أو داخل التركيب، يتجاوز حدود الثقافة التعبيرية فيؤدّي إلى دلالات ثانوية أو ضمنية أو إيحائية أو أسلوبية و ... تتجسد هذه الدلالات بالقرائن المعنوية واللفظية التي تمنع من إرادة معان ودلالة أخرى. «القرائن جمع قرينة وهي: كل أمارة ظاهرة تقارن شيئاً خفياً فتدلّ عليه» (أبوالبصل، ١٩٩٧: ٢٨٣). «الأمارة التي تدلّنا على الأمر المجهول استنباطاً واستخلاصاً من الأمارة المصاحبة والمقارنة لذلك الأمر الخفي المجهول» (الفائز، ١٩٨٣: ٦٧)، منها: قرينة الترتيب، قرينة الأداة، قرينة الصيغة، قرينة الربط، قرينة التنغيم، قرينة الصنف، قرينة المطابقة.

القرآن بما أنّه معجزة في اللفظ والمعنى يحتوي على علوم لغوية وبلاغية عدّة لا يمكن استكشاف الأغراض البلاغية واستجلاء الكوامن الدلالية إلّا بدراسة التراكيب والصور

اللغوية والقرائن التي تدلّ على الوظيفية التي أرادها سبحانه باختيار المفردات وبكيفية رصفها على أساس ما اقتضته الأحوال والمقامات هذا وقد بهرت العرب بلاغة *القرآن* وسموّ أسلوبه إذ يعدّ الإعجاز البلاغي أحد وجوه التفسير البياني لآيات *القرآن الكريم*. وقد نرى اتّساعاً دلالياً باهراً تنداح دائرتها بمقدار ما أراده منها من الوظيفية الدلالية التفسيرية التربوية التواصلية وبقدر اتساع دائرة ذهن المتلقي وبقدر قوة إدراكها وإلّا كما صرّح الله به، لا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم.

سورة الواقعة كغيرها من السور المكية تعني بغرس العقيدة وإقامة الدلائل على توحيد الربوبية والألوهية بثلاثة محاور: «المحور الأول: تحقيق القيامة (من آية ١ إلى ٥٦). تدور أحداث هذا المقطع حول ثلاث قضايا: الأولى: تقرير البعث والجزاء. الثانية: انقسام الناس عند قيام الساعة إلى ثلاثة أصناف، وبيان مآل كل صنف. الثالثة: تأكيد اجتماع الأولين والآخرين في ذلك اليوم. المحور الثاني: دلائل البعث والجزاء (من آية ٥٧ إلى ٧٤). تعرض آيات هذا المقطع لشواهد الألوهية ودلائل القدرة الربانية على البعث في فقرتين: الأولى: دليل الخلق، تقرير النشأة الآخرة قياساً على النشأة الأولى. الثانية: دليل العناية والإمداد بالرزق. المحورالثالث: تعظيم *القرآن الكريم* وصدق ما أخبربه (من آية ٧٥ إلى ٩٦). يحتوي هذا المقطع على ثلاث قضايا: الأولى: فيها إثبات النبوة وصدق *القرآن* وعلو شأنه. الثانية: فيها توبيخ الضّالّين المكذّبين على جحود النعمة، وجعل التكذيب موضع الشكر. الثالثة: فيها بيان لمصائر الناس عند الاحتضار» (مسلم، ١٤٣١: ج ٧، ٥٩٩، ٦٠٨، ٦١٣). يهدف المقال إلى المقارنة، بين الصور اللغوية والبلاغية لهذه السورة من منظور علم اللغة وعلم الدلالة والبلاغة الإبلاغية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ١. ما هي الكوامن الدلالية التي تضفيها القرائن؟ ٢. ما هي الفلسفة الدلالية لاستبدال العلامات اللغوية بعضها بالبعض؟

٢. خلفية البحث

هناك مقالات ورسائل جامعية اهتمّت بدراسة هذه السورة المباركة من زوايا مختلفة كما يلي:

١.٢ الرسائل

١. «البديع في القرآن الكريم» (دراسة وصفية تحليلية في سورة الواقعة)، ناجحة النصرية،كلية العلوم الإنسانية والثقافة، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، ٢٠٠٤–٢٠٠٥: أرادت الباحثة أن تسلّط الضوء على أنواع المحسّنات اللفظية والمعنوية لتساهم في الكشف عن بعض أسرار *القرآن* في السورة من الناحية البلاغية البديعية.

٢. «فوائد ذكر المسند إليه في سورة الواقعة» (دراسة تحليلية بلاغية)، واسعة الخيرة،كلية العلوم الإنسانية والثقافة، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، ٢٠٠٨–٢٠٠٩: هذا البحث العلمي يعالج فوائد ذكر المسند إليه التي تعتدي على المسند إليه في إطار الجملة، نظراً إلى المقامات والسياقات والأحوال.

٣. «سورة الواقعة هداها وبيناها»، عدنان جابر محمّد الطويرقي،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز: يذكر البحث ما جاء في *القرآن الكريم* من أسماء الواقعة وبعض أشواط ذلك اليوم وعلاماته، وأنواع المكلّفين في هذه السورة وبيان أصنافهم وجزاء هذه الأصناف كما يتحدث عمّا ورد فيها من إنكار البعث وشبهة المنكرين وعن الردّ عليهم جملةً وتفصيلاً.

٤. «سورة الواقعة دراسة أسلوبية»، بلال سامي إحمود الفقهاء، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢–٢٠١١: يهدف البحث إلى محاولة إدراك الخصائص الفنية للغة *القرآن* من خلال السورة ورصد الظواهر اللغوية والأسلوبية في السورة، كما يلمس مظاهر العلاقة بين الصوت والدلالة في السورة.

٢.٢ المقالات

١. «الألفاظ الإسلامية في سورة الواقعة»، أنسام خضير المالكي، زينب عبد الحسين السلطاني، *مجلة كلية التربية*، الجامعة المستنصرية، العدد ٦، السنة ٢٠٠٥، الصفحات ١–٤٠: يعالج المقال دلالة المصطلحات الواردة في السورة، تلك المصطلحات التي شاع استعمالها في الإسلام خاصة الألفاظ المعبّرة عن اليوم الآخر منها: القيامة، الحاقّة، التغابن، الانشقاق،

الزلزلة و ... وأيضاً الألفاظ التي تحدّثت عن أحوال الصالحين وما لهم من الثواب والألفاظ المعبّرة عن أحوال الكافرين وجزائهم وفي الختام أتى الباحث ببعض الخصائص التعبيرية والأسلوبية كأسلوب النفي والإجمال والتفصيل.

٢. «النحو الدلالي في *القرآن الكريم* من خلال سورة الواقعة»، م.م صباح علّاوي خلف، *مجلة جامعة التكريت للعلوم الإنسانية*، المجلد ١٥، العدد ٥، السنة ٢٠٠٦، الصفحات ٧-٤٨: يتحدث المقال عن معاني النحو في سورة الواقعة ويجمع المرفوعات والمنصوبات و ... كلٌّ على حدِه، تحت عنوان الفصل الأوّل: المرفوعات و ... يستخدم الباحث أسلوب الاستفهام والإجابة عن الأسئلة ليتحدث عن المعاني وراء علامات الإعراب.

٣. «الصورة المفردة والمركبة في سورة الواقعة»، حسن حميد فياض، *مجلة مركز دراسات الكوفة*، جامعة الكوفة، المجلّد ١، العدد ٦، السنة ٢٠٠٧، الصفحات ٣٢٩-٣٤٤: قد انتظم البحث في تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد سورة الواقعة نزولاً وفضلاً وعرج بعد ذلك على ما اختاره من مفهوم اصطلاحي للصورة الفنّية في مبحثين: المبحث الأوّل استقام على بيان الصورة المفردة ومتابعة أمثلة تطبيقية لها في الشعر العربي *والقرآن الكريم* انتهاء إلى تطبيقها على سورة الواقعة وبيان مميزاتها وأهداف استعمالها وجاء المبحث الثاني متحدّثاً عن الصورة المركّبة على وفق المنهج الذي طبق في المبحث الأوّل لاستجلاء المعاني ومعنى المعنى.

٤. «التداخل الصوري في سورة الواقعة»، عبدالباقي الخزرجي، *مجلّة آداب المستنصرية*، الجامعة المستنصرية، العدد ٤٦، السنة ٢٠٠٧، الصفحات ١-١٤: حاول الباحث أن يتعامل مع الرؤية القرآنية على وفق المنظور الإيحائي للصورة من خلال امتزاج الواقع والحلم على مستوى البحث عن اليقين، فقامت فكرة هذه الدراسة على أساس قراءة نقدية لتداخل الصور وأنماطها في هذه السورة بتفصيل أنواع الإيحاء.

٥. «التقابل المكاني الأخروي في سورة الواقعة دراسة بلاغية وصفية»، أسماء سعود ادهام الخطاب، *مجلة أدب الرافدين*، جامعة الموصل، العدد ٤٦، السنة ٢٠٠٧، الصفحات ١٣٢-١٦٥: يتحدّث المقال عن التقابل المكاني من حيث أنّ المكان وعاء للأصناف الثلاثة المذكورة في السورة ولكلّ صنف طبيعته وجزاءه.

٦. «التفسير الصوتي لقراءات سورة الواقعة في ضوء النبر والتنغيم»، علي حسين خضير، *مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية*، المجلّد ١٤، السنة ٢٠٠٨، الصفحات ١٨-٢٩: يتناول البحث دراسة ظاهرتي النبر والتنغيم دراسة تطبيقية في القراءات القرانية معتمداً على التحليل الصوتي متوخّياً الدلالة، مستعيناً بالمعطيات السياقية التي تشترك في إنتاج المعنى والقراءة.

وأمّا دراستنا هذه فتجعل القرائن البلاغية محوراً للدراسة لكي تشير إلى ما اختفت من الدلالات وراء تلك الصور اللغوية التي تؤثر القرائن في إضفاء تلك الدلالات إلى التراكيب على أساس العناوين التي أوردها يونس علي في كتابه *المعنى وظلال المعنى*. و هي، نظراً إلى الخلفية التي قدّمناها آنفاً، جديدة.

٣. قرينة الترتيب

نقصد بالترتيب تقديم عنصر على عنصر آخر داخل التركيب. الترتيب يؤدّي إلى معنى من أنواع المعاني الذي سمّي في علم الدلالة بالمعنى الموضوعي حسب ما نرى في تقسيمات جفري ليتش الواردة في كتاب *الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية* (الغذّامي، ٢٠٠٠: ١٢٥) للتقديم والتأخير والترتيب اللغوي أغراضٌ تراد في الأحوال والمقامات العدّة، وله طابع نفسي يشير إلى حالة نفسية أو سلوك نفسي، أو طابع وجودي يشير إلى الترتيب الوجودي على ما ظهر في الواقع الذي يقبله العقل والمنطق، أو طابع ثقافي تعبيري يشير إلى اتباع الاستعمال الوارد عن العرب، بحيث أصبح الترتيب والتقديم قرينة لإبلاغ معنى يراد أو غرض يرمى. فلضيق المقام نترك الطابع الأخير ونتعرض للطابعين قبله. ومِن الأمثلة للطابع النفسي: قوله تعالى: «خافِضَةٌ رافِعَةٌ» (الآية: ٣) «تقديم الخفض على الرفع لتشديد التهويل أو بيان لما يكون يومئذ من حطّ الأشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى درجات الجنات وكذلك لأنّ عدد من تخفضهم أكثر ممّن ترفعهم» (آلوسي، ١٤١٥: ج ١٤، ١٣٠؛ المسيري، ٢٠٠٥: ٦٣٦).

وقوله تعالى: «فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ، وأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» «فذكر الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفاً

لعباده فإمّا محسن فيزداد رغبة في الثواب وإمّا مسيئ فيرجع عن إساءته خوفاً من العقاب فلذلك قدّم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثمّ ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثمّ ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وليجتهد أصحاب اليمين في القرب منهم» (بغدادي، ١٤١٥: ج ٤، ٢٣٥) وقيل: «أفرد السابقون بالذكر مؤخراً لبيان شرفهم وعظيم قربّهم من اللّه ...» (المسيري، ٢٠٠٥: ٦٣٧) «لتشويق السامعين إلى معرفة صنفهم بعد أن ذكر الصنفان الآخران من الأصناف الثلاثة ترغيباً في الاقتداء» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٦٥-٢٦٦).

فالتخويف والترغيب والترهيب والتشويق كلها بواعث نفسية تؤدّي إلى خروج الكلام من الوجود الذهني إلى الوجود الكلامي الذي يطابق الواقع الخارجي؛ ليرشد الجميع إلى الكمال الذي يتوقع منا جميعاً. هذا وقد يسجّل لنا وظيفية اللغة التي تستخدم لعدة الوظائف، منها التشويق أو الترغيب الذي يكون التركيز فيه وتسليط الضوء به على المخاطب ليتأثر بالرسالة الموجهة اليه. كل هذه الصور مناويل تواصلية لها عناصر: المرسل (اللّه) والرسالة والمرسل إليه (الإنسان) فلابدّ أن ترجع الرسالة إلى مصداق أو صعيد ما (الأحوال والمقامات)، كي تكون مؤثرة يدركها المتلقي أو المرسل اليه. كما لابدّ من رمز معهود رسول بين المرسل والمرسل إليه (الخلق، النشأة الاولى، النعم).

وأمّا طابع الترتيب الوجودي أو الحصولي فقوله تعالى: «يَطُوفُ عَلَيهِم وِلدانٌ مُخلَّدونَ بِأَكْوابٍ وأَباريقَ وكَأْسٍ مِنْ مَعين» (الآية: ١٨) وجاء ا... سبحانه بمفرد الكأس ولم يقل: (... وكؤوس ...) وكذلك قدّم الأكواب على الأباريق والأباريق على الكأس؛ «ما يشرب منه فهو كأس إذا كان فيه الشراب وإلّا فهو كوب والأباريق أواني يوضع فيها الشراب ثمّ يصبّ منها في الكوب ...» (ياسين، ١٩٨٠: ٢٤٣؛ طباطبايي، ١٤١٧: ج ١٩، ١٢٢) كما اعتبره إبن عاشور في التحرير والتنوير، فضلاً عما قيل في دلالة الكأس على الجنس، عن عامل صوتي يرتبط ارتباط وثيقاً بالتأثير في المتلقي تأثيراً نفسياً: «... وإنّما أوثرت صيغة المفرد لأنّ في لفظ كؤوس ثقلاً بوجود همزة مضمومة في وسطه مع ثقل صيغة الجمع» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٧١) ولكننا نظنّ أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن

يجسّد لنا مشهداً حقيقياً وهي أنّ الولدان عندما يأتون إلى أهل الجنة لقرى ضيوفهم يظهرون بصحن مليء بالأكواب التي لم تملأ و لم تقدم بعد للضيوف لكنهم فيما بعد، يأخذ كل واحد حصّته فصوّر الحالة هذه في صورة الإفراد بالكأس؛ لنستظهر الصورة والمشهد نصب أعيننا نتشوق إليها. ولو كان الترتيب وجودياً ومنطقياً.

نشاهد كذلك في قوله سبحانه: «أَوَآباؤُنَا الْأَوَّلُونَ، قُلْ إِنَّ الْأَوَّلينَ والْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إلى ميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الآيات: ٤٨-٥٠). «قدّم ''الأوّلين'' للمبالغة في الردّ حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشدّ من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي» (آلوسي، ١٤١٥: ج ١٤، ١٤٥).

وأيضاً في قوله سبحانه: «ثمّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ» (الآية: ٥١)، «قدّم وصف ''الضَّالُّونَ'' على وصف ''الْمُكَذِّبُونَ'' وهو مراعاة لترتيب الحصول لأنّهم ضلّوا عن الحق فكذّبوا بالبعث ليحذروا من الضلال ويتدبّروا في دلائل البعث وذلك مقتضى خطابهم بهذا الإنذار بالعذاب المتوقع» (ابن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٨٤). «فإذن حمل إسم الفاعل صفة الإنذار للمكذّبين بالبعث ويوم القيامة، وفي خطابهم بالضالّين المكذّبين إشارة إلى ملاك شقائهم وخسرانهم يوم البعث وهو ضلالهم عن طريق الحق ...، ولو كانوا ضالّين فحسب من غير تكذيب لكان من المرجو أن ينجوا ولا يهلكوا» (إحمود الفقهاء، ٢٠١١-٢٠١٢: ٦٢؛ طباطبايي، ١٤١٧: ج ١٩، ١٢٥). ولكننا نرى في آية أخرى تقديم الضالين على المكذبين وهو قوله سبحانه تعالى: «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ، وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ» (الآيات: ٩٢-٩٤). «لأنّ ما يلقونه من العذاب تبعة تكذيبهم وعنادهم للحق لأنّ الكلام هنا على عذاب قد حان حينه وفات وقت الحذر منه فبينّ سبب عذابهم وذكروا بالذي أوقعهم في سببه ليحصل لهم ألم التندم، ولو كان ضلالاً بلا تكذيب وعناد كانوا مستضعفين غير نازلين هذه المترلة» (طباطبايي، ١٤١٧: ج ١٩، ١٤٠؛ ابن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٣١٨) أمّا بالنسبة إلى سر تقديم الحميم على الجحيم فهناك رسم مشهد الانطلاق من الحال إلى المحلّ فيتمتعون بترلهم قبل الاستقرار فيه وهذا الإخبار أشدّ مرارة لهم ومعاناة بما يواجهونه.

هكذا من الآيات قوله تعالى: «أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذي تَشْرَبُونَ، أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتي تُورُونَ، أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ» (الآيات: ٦٨-٧٢)، «أما سر ترتيب هذه الأشياء التي تختص بقدرة ا... تعالى وتقديم بعضها على بعض في هذه الآيات فالأوّل هو خلق الإنسان من نطفة، والنعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة الأخر التي بعده، فوجب تقديمه، ثمّ مابعده ما به قوام الإنسان من فائدة الحرث وهي الطعام الذي لايستغني عنه الجسد الحيّ، وذلك الحبّ يحتاج إلى الماء من قبل حصوله عندما بذر في الأرض إلى أن يخرج حبّاً ثمّ يحتاج بعد حصوله إلى ما يعجن به وهو الماء، ثمّ إلى النار التي تعيده خبزاً فالترتيب على حسب الحاجة، والنعمة الثانية بعد الأولى. وقد تقدّم في هذه السورة ذكر نعم الآخرة على نعم الدنيا من الآية الخامسة عشر وحتى الآية السابعة والثلاثين وهو من باب ذكر النتيجة أوّلاً ثمّ ذكر ما يدلّ عليها من نعم الدنيا مِن الآية التاسعة والخمسين إلى الآية الثالثة والسبعين لتكون قريبة الذكر وهاديةً للفكر» (المسيري، ٢٠٠٥: ٦٣٧-٦٣٨).

٤. قرينة الأداة

تعدّ الأداة مِن أهمّ الوسائل التي تغير المعنى، ما سمّي اليوم في علم اللغة: بالمصرّف القواعدي الحرّ ومِن أمثلتها؛ الأدوات الحرفية والأدوات الإسمية والأدوات الفعلية. فالحرفية نحو:

١.٤ حروف الجر

حروف الجرّ تنطوي تحت حروف المعاني، ولكلّ واحد منها عدّة معان ودلالات لا تظهر الّا بالعلاقات الائتلافية. فلا قيمة دلالية لها في حالة الانفراد. فإذا دخلت التركيب اكتسبت قدرة تغيير دلالة الأفعال أو إضفاء معنى جديد:

ومن الآيات قوله سبحانه: «لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفُونَ» (الآية: ١٩)، «تعدية التصديع بـ"عن" لتضمنه معنى الصدور أي لا يصدر الصداع عنها لخمارها كخمور

الدنيا» (القونوي، ١٤٢٢: ج ١٨، ٣٩٦)، «ويجوز أن تكون ''عن'' في معنى السببية ومعنى ''عنها'' مجاوزين لها، أي لا يقع لهم صداع ناشىء عنها، أي فهي متزهة عن ذلك بخلاف خمور الدنيا» (ابن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٧١). فإذا ذهبنا إلى وجود التضمين في حرف «عن» بما فيها من المعاني فلقد اعترفنا بتعددية الوقائع الدلالية التي يمكن أن تختفي وراء حرف واحد تمتع بخاصية توسيع دائرة الدلالة. ما سمّي في علم اللغة والدلالة باقتصاد العلامات.

ولو قارنّا قوله تعالى: «فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الشعراء: ٣٨) بما ورد في سورة الواقعة: «لَمَجْمُوعُونَ إِلى ميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الآية: ٥٠) لَرأينا الفرق واضحاً بين استخدام «اللام» في الأولى و«إلى» في الأخرى. وهو أنّ اللام للدلالة على الغاية أو المقابلة؛ أي: جُمِعَ السحرة لغرض هذا اليوم وهو تبيين حقيقة موسى (ع)، لكن في الآية الثانية تكون «إلى» بمعنى انتهاء الغاية إلى يوم القيامة، هذا هو الفرق بينهما. ولعلّ الشيء الذي يلفت الانتباه أنّ يوم القيامة يوم البعث والحشر يجتمع فيه جميع الأجناس من البشر فلا محالة عليهم أن ينطلقوا جميعاً إلى الميقات، والمسير مستمر ومحتوم مع التوكيد بـ«إلى» لبيان ذلك اليوم المعلوم. ولكن اللام يدلّ على المقابلة التي حدثت بين موسى وفرعون والسحرة. فبنيت الجملة الأولى بناءاً ماضوياً للإخبار عن ذلك التقابل الذي دار بينهم، ولكنّ الثانية بناءاً اسمياً للدلالة على تلك الاستمرارية التي تستوعب جميع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٢.٤ حروف التحضيض

التحضيض فيه تحريك النفوس إلى ما يتوقع مع التوبيخ؛ لأنّ النبرة الصوتية تميل فيه إلى نوع من الغضب والتحفظ. ومن حروفه المستخدمة في هذه السورة المباركة «لولا» الوارد في ثلاث آيات منها، وهي: «نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَولا تُصَدِّقُونَ» (الآية: ٥٧) ومثله قوله تعالى: «ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَولا تَذَكَّرُونَ» (الآية: ٦٢) وقوله تعالى: «لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَولا تَشْكُرُونَ» (الآية: ٧٠).

«لولا» حرف تحضيض كما هو معروف عند النحويين والبلاغيين وفي الأولى تحضيض على التصديق: لو أمعنا النظر في عتبات كل آية وسياقها نرى أنّ نسبة الخلق إلى الخالق لاسبيل إلى إنكارها لمنكر؛ فليس هناك من يستطيع ادعاء القدرة على الخلق فلابدّ لهم أن يصدّقوا؛ لأنّهم و إن كانوا مصدّقين به، إلّا أنهم لّما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنّهم مكذّبون به. «وإمّا بالبعث، لأنّ من خلق أوّلاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً وكأنّ الآية تعني: صدِّقوا» (القونوي، ١٤٢٢: ج ١٨، ٤٠٩)، كما أنّ عتبة الآية الثانية تفتح لنا فلسفة توظيف «تذكّرون» وتمهد لنا الغور في متاهاتها. إذا نظرنا إلى قيمة «تَذَكَّرُون» الانفرادية من منظور علم اللغة والدلالة وقمنا بالقياس بـ«تَـذكُرُون» والجمالية اللغوية الأخرى التي تنتقش في الذهن وهي استخدام «تَذَكَّرُون» على باب التفعّل بدل «تَذكُرُون» ثلاثياً مجرداً؛ رأينا الفرق واضحاً بأنّ في التفعل مطاوعة، وأحد جوانب المطاوعة التوقع والانتظار والاستمرارية ولكنه من ناحية الائتلاف والتركيب أثّـر اختيار «خَلَقْناكُمْ» في اختيار التصديق كما أثّر «النَّشْأَةَ الْأُولى» في تعاقب «تَـذَكَّرُونَ» المؤدّي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة الآخرة وكما يبدو من السياق «أنّ هذه الآية أيضاً مِن الأدلّة الساطعة، على إمكانية البعث وعلى أنّ من قدر على خلق الإنسان مع العدم قادر على إعادته، وكأنّ الآية تعني: تذكّروا» (طنطاوي، د.ت: ج ١٤، ١٧٧).

ونجد كذلك مثله في موضع ثالث من السورة «لولا» حرف تحضيض للحثّ والدعوة إلى الشكر من الله تعالى للنعَم العديدة التي منّ بها على كلٍ منّا؛ لأنّ الشكر ملازم للنعم. «ولا يمكن أن نجعل كلاًّ مِن ''فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ'' و''فَلَوْلا تَشْكُرُونَ'' مكانَ الآخر لأنّ الأولى تنبيهٌ على البعث والإعادة، وهي النشأة الثانية كالنشأة الأولى، وحمل أن يتذكر الأوّل الذي هو الأصل ليثبت به الثاني الذي هو فرع، على أنّ القادر كما كان لم يتغير، وأمّا قوله: ''فَلَوْلا تَشْكُرُونَ'' فإنّه بعد قوله: ''لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً''؛ أي: شديد الملوحة كماء البحر، كما قال تعالى: ''هذا مِلْحٌ أُجاجٌ'' (الفرقان: ٥٣)، فكلّ مكان لاق به ما ذكر فيه» (الإسكافي، ١٩٧٣: ٤٦٨). لأنّ الوظيفة الدلالية أو الأدوار التي تقوم بها المكونات أو العناصر في إطار النسق أو البنية هي التي تميز بنية عن

أخرى، وتسمح للمبدع أن يستبدل عنصراً مكان أخرى. فاختيار كل كلمة ومنظور يؤثر في اختيار الأخرى والآخر. فكل هذه التراكيب الثلاثة قامت بتأدية دور الوظيفة الترغيبية؛ «لأنّه إذا كان هدف الكلام تنشيط المخاطب ودعوته للمشاركة والاسهام، وإثارة المتلقي فلقد تحققت الوظيفة الترغيبية» (گيرو، ١٣٨٠، ٢١) وهكذا من الأمثلة قوله سبحانه: «فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ» (الآية: ٨٣)، «"لولا" للتحضيض على التذكر والاعتبار، ولإبراز عجزهم في أوضح صورة، إذ إظهار عجزهم هو المقصود هنا بالحضّ» (طنطاوي، د.ت: ج ١٤، ١٨٧).

٣.٤ الأدوات الإسمية

ففي هذا المقطع نشير إلى بعض الكوامن الدلالية للمترادفات الإسمية كي نتعرف على جمالية استعمال المفردات في السورة من بين مترادفاتها ومن أمثلتها قوله سبحانه: «فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا» (الآية: ٦) كما يبدو جاء الله تعالى بكلمة «الهباء» لا «الغبار» ليدلّ على أنّ الله قادر على أن يجعل الجبال والأرض مسحوقة والمسحوق أكثر ليناً ودقّة ولطافةً من «الغبار» وهذا أدلّ على قدرة الله الحاسمة التي لا قدرة فوقها.كما اختار سبحانه كلمة «مُنْبَثًّا» بدل «منثوراً» الواردة في الآيه الشريفة «وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً» (الفرقان: ٢٣) ليدلّ على نفس الإثارة والتحريك.

وكذلك قوله سبحانه: «في جَنَّاتِ النَّعيم» (الآية: ١٢)، «والفرق بين النعيم والنِّعمة وكذلك بين النِعمة والنَّعمة هو أنّ النِعمة عطاء من الله فقط، ولاتكون من غيره، وهي منة الله على عباده في الدنيا، ولاتكون في غيرها. ذكرت كلمة (النِعمة) في سبع وستين آية واقترنت في معظمها بلفظ الجلالة أو ما يدلّ عليه مثل كلمات ربّكم، ربّي، نعمتي، ومن المعروف أنّ بناء (فَعلَة) بناء المرّة وبناء (فِعلَة) بناء الهيئة. وبناء النَّعمة بناء المرّة من الفعل كالضربة والشتمة، ومعناها التنعّم، وهو سعة العيش والراحة والترفّه ومن ذلك: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَريمٍ، ونَعْمَةٍ كانُوا فيها فاكِهينَ» (الدخان: ٢٥-٢٧) أي متفكّهين متنعّمين أي أولي الترفّه والتنعّم.

أمّا النِّعمة فبناءها بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان. قال النضر بن الشميل (ت ۲۰۳هـ): إنّ النِّعمة بكسر النون تكون في المِلك وبفتحها في البدن والدين لذا قيل: كم ذي نِعمةٍ لا نَعمة له؛ أي: كم ذي مالٍ لا تنعّم له. سُمِّيت النِّعمة باليد والصنيعة والمنّة وكلّ ما أنعم الله به على الإنسان؛ لأنها تشتمل على المِلك وهي في *القرآن الكريم* تقع في نِعَم الدنيا ولعلّ ذلك يعود إلى بنائها بناء الهيئة وهي الحالة الحسنة التي تكون في وقتٍ ثُمّ تزول. والنِّعمة والنَّعمة مِن باب (فعِل ــ يفعَل: نعِم ــ ينعَم) باب الإعراض. أمّا ما يكون في غيرها، أي في الآخرة، فهو لين العيش أو الخفض والدعة، ولعلّ ذلك يعود إلى بنية (فعيل) لأنّها تدلّ على الثبوت وهو مأخوذ من فعلِهِ اللازم الدالّ على السجايا والطباع وهو باب (فعُل ــ يفعُل: نعُم ــ ينعُم)، هو أجر الله لعباده على طاعتهم وعملهم. كأنّ الذي استحق نعمة الله بعمله في الدنيا سوف ينعم الله عليه بمثله في الآخرة، في حياة خالدة ونعيم مقيم لايزول. والنَّعيم فقد تكرّر في *القرآن الكريم* سبع عشرة مرة أضيف في معظمها إلى الجنّة أو الجنّات، على أنّ كلمة النّعيم قد وردت في آية واحدة فقط تشعر أنّه نعيم الدنيا في قوله تعالى في سورة التكاثر: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» (الآية: ۸) (أبوعودة، ۱۹۸۵: ٤۰۸، ٤۰۹، ٤۱۰؛ الدوري، ۲۰۰۵: ۲۹٤، ۲۹۵) أمّا "جنّات النعيم" «ففيها إشارة إلى أنّ قربهم محض لذة وراحة لا كقرب خواص الملك القائمين بأشغاله عنده بل كقرب جلسائه وندمائه الذين لا شغل لهم ولا يرد عليهم أمر أو نهي ولذا قيل: فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دون جنات الخلود» (آلوسي، ۱٤۱۵: ج ۱٤، ۱۳٤) وبهذا التعبير يريد أن يصف الفضاء الذي يعيش أهل الجنّة طوراً بالجمع للدلالة على كثرة ما يتمتّعون به وطوراً بالنّعيم ليدلّ على ما تحتويه تلك الجنّات من نعمة فيها نعومة مستمرّة ثابتة متواصلة.

وهكذا قوله سبحانه: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» (الآيتان: ۱۳-۱٤) والفرق بين الأولّين والمتقدّمين وبين الآخرين والمتأخّرين هو أنّ التقدّم والتأخّر لا يدلّان على البداية والنهاية ولكنّ الله، على ما يبدو، يريد أن يصوّر بدايةً ونهايةً للذين سوف يلتحقون ويسكنون الجنّة لكي نلمس في التعبير روح الذهن وحركيته كما نلمس استمرارية الموت والإماتة.

وأيضاً قوله تعالى: «عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» (الآية: ١٥)، والفرق بين الأريكة والسرير هو أنّ «الأريكة لفظ خاص بالسرير في حجلة من دون ستر ولا يسمّى منفرداً أريكة وقيل الأريكة سرير مُنَجَّدٌ مزَين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة أمّا إذا لم يكن عليه قبة فهو سرير وقيل الأريكة هو كلّ ما اتّكي عليه من سرير أو فراش أو مِنَصَّة. و*القرآن الكريم* أفصح عن الأريكة بأنّها موضع للاتّكاء أو أنّها موضع للنظر فمع الاتّكاء تكون سريراً أو فراشاً ومع النظر تكون مِنَصَّة يستشرفون منها على نعيم الجنة كما قال تعالى: ''... مُتَّكِئِينَ فيها عَلَى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً'' (الكهف: ٣١) وكذلك قوله تعالى: ''عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ'' (المطفّفين: ٢٣). لا منافاة بين اختصاص الأريكة بالإتكاء وتعميمها على السرر كقوله تعالى: ''مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ'' (الطور: ٢٠) إذ يجوز أن تكون السرر في الحجال فتكون أرائك إذ هي بعض منها ويجوز أن يقال وإنّ أهل الجنة تارة يتّكئون على الأرائك وأخرى على السرر التي ليست بأرائك. لكن الغالب في السرر أنّها موضع الجلوس وممّا يدلّ على اختصاصها بموضع الجلوس دون أن تكون لها قبة أو بيت مزَين كالأريكة قوله: ''... على سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ'' فقد وصفها بأنّها مصفوفة وهذا الوصف لايكون إلّا للأسرة، أمّا السرير المقيّد بالبيت المزين فلا يوصف بأنّه مصفوف وكذلك ما جاء في سورة الواقعة: ''عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ'' (الآية: ١٥) والموضونة: المنسوجة؛ أي: المنسوجة بالدرّ والجوهر، بعضها مداخل في بعض. والتداخل في الأريكة لا يكون؛ لأنّها مقيّد بالقبة والبيت وكذا قوله تعالى: ''... عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلينَ'' (الصّافات: ٤٤) والأريكة لا تكون فيها مقابلة؛ لأنّها محجوبة في الحجال فدلّ هذا التتبع على أنّ لفظ الأريكة مقيد، ولفظ السرير مطلق فيكل ما يستعمل للجلوس» (الدوري، ٢٠٠٥: ١٢٤-١٢٥).

وهكذا من الأمثلة قوله سبحانه: «يَطُوفُ عليهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ» (الآية: ١٧) ويبدو أنّ سر استخدام الولدان بدل الأولاد وكذلك لفظ «الغلمان» الوارد في قوله سبحانه وتعالى: «ويَطُوفُ عليهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُون» (الطور: ٢٤) في صيغته «الواو مع الكسرة» للدلالة على التواضع والخدمة ولكنّ الفرق بين الولدان والغلمان هو أنّ الولدان هم الصغار أمّا الغلمان أي الغلام الشاب الذي أوشك على البلوغ. الوليد منذ أن

يولد إلى أن يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمّى ولداً ثمّ يقال غلام. وسر استخدام لفظ «الغلمان» هو ما فيه من الدلالة على المنادمة. «والفرق بين الخلود والبقاء والدوام هو أنّ البقاء هو استدامة حالة سابقة في وقتين فصاعداً، ويقابله النفاد، والدوام استمرار البقاء في جميع الأوقات والخلود استمرار البقاء من وقت مبتدإ معيّن، فهو لزوم مستمرّ» (مصطفوي، ١٤٣٠: ج ٣، ١١٠-١١١) ولكن كلمة «مُخَلَّدُونَ» ببناءها من باب التفعيل لا يدلّ على الخلود والبقاء والدوام فحسب، وإلّا كان الله تعالى يستخدم كلمة «خالدون» والسبب واضح: لو تأملنا لحظة في سياق الآيات لَرأينا الحديث عن مكانة أهل الجنة الذين مهّد الله الكريم لهم جميع ما يرتاحون به في الجنة فيرفع بذلک مترلتهم فاستخدم الصيغة المبنية للمجهول وبتبعه المبنية لاسم المفعول ليدلّ أيضاً على أنّ هذا التعبير يتمكن أن يكون من الخلد، وهي حلقة يعلّق على الأذن من الذهب وغيره، للكناية عن تمام الخدمة أي؛ الخدمة الدائمة المتواصلة المستمرة التامّة من قبل هولاء الولدان الذين جعلهم الله في خدمتهم. ومن جانب آخر، بنيت الكلمة بناءً للمفعول للدلالة على أنّ الله هو الذي جعلهم مقيمين في خدمة أهل الجنة. وهذا هو أيضاً نوع من اقتصاد العلامات يمكّن للمبدع أن يختزن في صيغةٍ وبناءٍ تعدد الدلالات.

ومن الأمثلة قوله عزّ وجلّ: «وحُورٌ عينٌ، كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» (الآيتان: ٢٢-٢٣) «والفرق بين قولك سترته وبين قولك كننته: هو أن معنى كننته؛ صنته والموضع الكنين هو المصون وذلك أنّه يكون كنيناً وإن لم يكن مستوراً، وقيل الدرّ المكنون لأنّه في حق يصان فيه، وجارية مكنونة في الحجاب أي مصونة؛ اكتننت الشيء في نفسي إذا صنته عن الأداء وفي *القرآن* قال عزّ وجلّ: ''ورَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وما يُعْلِنُونَ'' (النمل: ٧٤)» (عسكري، ١٤٠٠: ٢٨١-٢٨٢). وفي الكنّ خاصية الحفظ والمحافظة على اللون والسمات الذاتية دون تغيير والمحافظة على قدرة الإثارة والإعجاب والافراح.

وكذلك قوله سبحانه: «وماءٍ مَسْكُوبٍ» (الآية: ٣١) «والفرق بين السكب والصب والسفوح والهمول والهطل والسقط والسفك هو أنّ السكب هو الصب المتتابع، ولهذا يقال فرس سكب اذا كان يتابع الجري ولا يقطعه ومنه قوله تعالى: ''وماءٍ مَسْكُوبٍ'' لأنّه دائم لا ينقطع. والصبّ يكون دفعة واحدة، ولهذا يقال صبّه في القالب ولا يقال

سكبه فيه لأنّ ما يصبّ في القالب يصبّ دفعة واحدة. والسفوح اندفاع الشيء السائل وسرعة جريانه، ولهذا قيل دم مسفوح لأنّ الدم يخرج من العرق خروجاً سريعاً، ومنه سفح الجبل لأنّ سيله يندفع إليه بسرعة. والهمول يفيد أنّ الهامل يذهب كل مذهب من غير مانع ولهذا قيل أهملت المواشي إذا تركتها بلا راع فهي تذهب حيث تشاء بلا مانع. والهطل دوام السيلان في سكون. كذا حكى السكري، وقال الهطلان مطر إلى اللين ما هو. والسقط هو نزول شيء من العلوّ دفعة وبلا اختيار» (مصطفوي، ١٤٣٠: ج ٥، ١٦٣، ١٦٤؛ ١٦٥؛ عسكري، ١٤٠٠: ٣٠٨) وهذا ما سمّاه اللغويون وعلماء الدلالة بالقيمة الدلالية فيما سمّيناه بالمترادفات.

وكذلك من الآيات: «أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ» (الآية: ٦٩) «والفرق بين ''السحاب'' و''المزن'' و''الغمام'' هو أنّ الأصل في السحاب هو سوق وجرّ، ويطلق السحاب باعتبار انجراره منبسطاً في الفضا فالسحاب مأخوذ من السحب؛ أي: الجَر؛ وذلك لانسحابه في الهواء أو لجَرِّه الماء والسحاب الغيم الذي يكون عنه المطر؛ لأنّه يتراكم من جهة العلو من جوهر ما بين الماء والهواء وورد ذكره في مواضع إحياء الأرض وحصول الغيث كقوله تعالى: ''... حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماء ...'' (الأعراف: ٥٧). وذكر المزن إشارة إلى تبخير الماء ثمّ تجمّعه في الفضاء بصورة السحاب، ثمّ حركته إلى موضع منظور، ثمّ نزوله بصورة المطر وتصفيته في الجبال بالرسوب. وهذه أسباب طبيعيّة وأمور قد رتّبها اللّه تعالى في تحصّل الماء المشروب، وهو يتوقّف على نظم بديع في خلق العالم من السماوات والأرض والهواء والجبال والأودية والريح والحرارة والبرودة والشمس والقمر وخصوصيّات موادّها وكيفيّة خلقها ونظمها، وكلّ بيد اللّه تعالى، ولا تأثير لنا ولأعمالنا في هذه الجريانات الجارية الطبيعيّة. والغمام هو السحاب الأبيض الرقيق وسمّي غماماً لاشتقاقه من الغم، وهو ستر الشيء؛ إذ هو يغم السماء؛ أي: يسترها لذا تجده في *القرآن الكريم* لم يستعملل قصد سقوط المياه ــ إذ الغمام سحاب لاماء فيها وإنّما جاء مع بني إسرائيل في تيههم فكان كالظُّلَّةِ لهم يقيهم حرّ الشمس، قال تعالى: ''وظَلَّلْنا عليكُمُ الْغَمامَ وأَنْزَلْنا عليكُمُ الْمَنَّ والسَّلْوى ...'' (البقرة: ٥٧). ويأتي في مواضع العقاب في حجب السماء عن الأرض بظلته، قال تعالى: ''هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ

يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ...'' (البقرة: ۲۱۰) وكذلك: ''ويَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ ونُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً'' (الفرقان: ۲۵)» (مصطفوي، ۱۴۳۰: ج ۱۱، ۱۰۳، ۱۰۴؛ الدوري، ۲۰۰۵: ۱۳۰، ۱۳۱).

۴.۴ الأدوات الفعلية

من أمثلتها ما ورد في السورة قوله تعالى: «وكانُوا يَقُولُونَ أَ إِذا مِتْنا وكُنَّا تُراباً وعِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» (الآية: ۴۷) «والفرق بين''مِتنا'' و''مُتنا'' في الاستعمال القرآني هو أنّ الذي يظهر في فعل اللغة المشهورة ''مات يموت'' أنّه يقع في سياق ذكر الموت على أنّه حقيقة لابدّ من وقوعها، وأنّه بعدُ لم يقع، وليس فيه الخطاب للأموات إنّما هو خطابٌ يختص الأحياء قال تعالى: ''ولَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أو مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ورَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، ولَئِنْ مُتُّمْ أو قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ'' (آل عمران: ۱۵۷-۱۵۸) وقوله تعالى: ''والسَّلامُ على يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أَمُوتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا'' (مريم: ۳۳) فنبي الله عيسي (ع) لم يكن قد مات بل هو في المهد صبياً بدليل قوله (السَّلامُ على). وقوله تعالى: ''... وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عليمٌ خَبيرٌ'' (لقمان: ۳۴) فالنفس في حياتها لاتدري أين تموت إلّا بعد تحقق الموت. وقوله تعالى: ''وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ...'' (النحل: ۳۸)؛ أي: من سيموت، سمّيت النفس النائمة بالموت الواوي لأنّها لم تمت بعدُ، قال تعالى: ''اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها والَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عليها الْمَوْتَ ويُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون'' (الزمر: ۴۲) وغير ذلك من الآيات.

أمّا مكسور الميم ''مِتُّ'' وأخواتها فتأتي في الذكر الحكيم في معرض التعجيز من رجوع الميت إلى الحياة الدنيا، ومقام آياته مقام فناء، فكأنّ المكسور خاص بالتعبير عن البلى، مرور الدهور على موت الإنسان، انظر إلى هذه الآيات الكريمة: قال تعالى: ''قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا'' (مريم: ۲۳) فهي تمنّت لو أنّها ماتت، ومضى عليها الدهر حتى نسيت، و لم يبق لها ذكر من شدّة ما وقع بها؛ لذا لم تقل ''مُتُّ''؛ لأنه

ممّنْ يؤمِّل وقوعه. وقوله تعالى: "وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ" (الأنبياء: ٣٤) والكلام في ذكر الخلود وما يضاده من الفناء فكان المجيء المكسور الميم مزية؛ لأنّه في تحقق الموت لا فيما يقع مستقبلاً. وقال تعالى: "ويَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا" (مريم: ٦٦) وفي الآية من الجزم في إنكار البعث بعد الموت، ما يثبت انقطاع الميت عن الحياة» (الدوري، ٢٠٠٥: ٣٦٣-٣٦٤).

٥. قرينة الصيغة

«يطلَق مصطلح "الصيغة" على الوحدة المقيّدة التي لها دلالات قواعدية أي أنّها مصرِّف مقيّد ومن استخدامات الصيغة التصريفية دلالتها على الفعل من حيث كونه ماضياً أو مضارعاً أو أمراً، وكونه مبنياً للمعلوم أو للمجهول، وكذا دلالتها على المشتقات، وتمييزها إسم الفاعل وإسم المفعول والصفة المشبّهة و ... إلخ» (يونس علي، ٢٠٠٧: ٣٤٠).

ندرس أولاً فئة الأسماء: شغل إسم الفاعل حيّزاً واسعاً في السورة إذ بلغ عدد تواتره ٢٣ مرّة ومن الآيات التي جاء فيها واضحاً قوله عزّ وجلّ: «إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ» (الآية: ١) «في هنا إسم الفاعل يدلّ على ما يدلّ عليه المضارع من الإستقبال فاسم الفاعل بمعنى المضارع فهو يدلّ على معنى مستقبل، وحدث مرتقب، وهو ما سيقع للناس يوم القيامة أو لبعض أجزاء الكون» (العمري، ٢٠٠٤: ٤٥٢)، «وسمّى ما لم يقع، واقعةً لتحقق وقوعه والواقعة لا يقال إلّا في الشدّة والمكروه وأكثر ما جاء في التنزيل من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد» (القونوي، ١٤٢٢: ج ١٨، ٣٨٥).

وكذلك قوله تعالى: «خافِضَةٌ رافِعَة» (الآية: ٣) «إسم الفاعل هنا يدلّ على الشدّة فهي خافضة رافعة ترفع أقواماً وتضع آخرين إمّا وصفاً لها بالشدّة، لأنّ الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإمّا لأنّ الأشقياء يحطون إلى الدركات، والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإمّا أنّها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارّها، فتخفض بعضاً وترفع بعضاً: حيث تسقط السماء كسفاً وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمرّ في الجوّ مرّ السحاب» (الزمخشري، ١٤٠٧: ج ٤، ٤٥٦).

وأيضاً قوله سبحانه: «فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا» (الآية: ٦)، «''المنبثّ'': إسم فاعل انبثّ، مطاوع بثّه، إذا فرّقه، واختير هذا المطاوع لمناسبته مع قوله: ''وبُسَّتِ الْجِبالُ'' في أنّ المبني للنائب معناه كالمطاوعة» (إبن عاشور، د.ت: ج ۲۷، ۲۶۳) وكذلك قوله: «والسَّابِقُونَ السَّابِقُون» (الآية: ۱۰)، «ورد إسم الفاعل على صورة جمع المذكر السالم مكرّراً تأكيداً للمعنى وهو التعظيم والتشريف والتفخيم» (إحمود الفقهاء، ۲۰۱۱-۲۰۱۲: ٦۲؛ درويش، ۱٤۱٥: ج ۹، ٤۲٦).

وفي قوله عزّ وجلّ: «مُتَّكِئِينَ عليها مُتَقابِلِينَ» (الآية: ۱٦)، «الاتكاء هو استناد إلى أىّ شيء مع حصول استقرار وهو من باب الافتعال ويدلّ على مطاوعة أصل الفعل مجرّداً، أي المطاوعة في قبال نسبة الفعل المجرّد» (مصطفوي، ۱٤۳۰: ج ۱۳، ۲۰۹). و«''متقابلين''؛ أي: متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر وذلك أعظم في باب السرور والمعنى أنّ بعضهم ينظر إلى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم وتهذب أخلاقهم وهو من باب التفاعل ومعناه الاشتراك في الفعل وهو التقابل» (طبرسي، ۱۳۷۲: ج ۹، ۳۲٥) و«تقابلهم كناية عن بلوغ أنسهم وحسن عشرتهم وصفاء باطنهم فلا ينظرون في قفاء صاحبهم ولا يعيبونه ولا يغتابونه» (طباطبايي، ۱٤۱۷: ج ۱۹، ۱۲۲). والاتّكاء على السرر يوحي برفاهيتهم ورغد عيشهم وتمام قدرتهم والتقابل في الجلوس هو أشدّ وقعاً في النفوس لما فيه من تبادل في النظر والتبادل في الأفكار فهو أخذ وعطاء وممّا تجدر الإشارة أنّ هذه الجملة الإسمية تدلّ على ثبوت الحال. وفي هذه الآية الكريمة: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ» (الآية: ٥۱) يحمل إسم الفاعل صفة الإنذار للمكذّبين بالبعث ويوم القيامة.

ورد إسم المفعول ۲۲مرّة في السورة وهو يدلّ على معاني عظيمة ومن تلك الآيات قوله تعالى: «أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (الآية: ۱۱)، «''المقرّبون'' هنا ـــ لا ''المتقربون'' ـــ توحي بإزدواجية مكانة القرب لهم من اللّه: إنّهم تقرّبوا إليه كما اسطاعوا، ومِن ثمّ أكمل اللّه تقربهم إليه أن قرّبهم فأصبحوا ''مقرّبين'': قرّبوا لسبقهم سواهم، فسبقوهم في الجنة لقربهم» (صادقي تهراني، ۱۳٦٥: ج ۲۸، ٦٥-٦٦). «والمقرّب؛ أبلغ من القريب لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء، وذلك قرب مجازي، أي شبّه بالقرب في ملابسة القريب

والاهتمام بشؤونه فإنّ المطيع بمجاهدته في الطاعة يكون كالمتقرب إلى اللّـه، أي طالـب القرب منه فإذا بلغ مرتبة عالية من ذلك قرّبه اللّه، أي عامله معاملة المقرّب المحبوب، وبهذا جاء التشبيه في صورة بيانية مفسّرة لتساؤل السامع عن أثر التنويه بهم في قولـه تعـالى: ''والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ'' ولم يذكر متعلّق ''الْمُقَرَّبُونَ'' لظهور أنّه مقرّب من اللّه، أي من عنايته وتفضيله، وكذلك لم يذكر زمان التقريب ولا مكانه لقصد تعميم الأزمان والبقاع الاعتبارية في الدنيا والآخرة» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٦٥ و ٢٦٦). وبُـني الخـبر على صيغة إسم المفعول مِن جانب ومِن جانب آخر نرى هذه البنية مِن التفعيل فيبـدو أنّ الله سبحانه أراد أن يجسِّد حضوره القوي وأثره في تقريب هؤلاء إليه سبحانه أي أنّ هناك فاعلاً بنّاءاً يقوم بدوره الإيجابي ليستقبل هؤلاء الصالحين.

وفي كلّ من هذه الآيات الكريمة: «عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» (الآية: ١٥) «كَأَمْثالِ اللُّؤْلُـؤِ الْمَكْنُونِ» (الآية: ٢٣) «في سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وظِلٍّ مَمْدُودٍ، وماءٍ مَسْكُوبٍ» (الآيات: ٢٨-٣١) «لا مَقْطُوعَةٍ ولا مَمْنُوعَةٍ، وفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ» (الآيتان: ٣٣-٣٤)، جاء إسم المفعول دالاًّ على ثبات النعم في الجنة دون أي تغييرٍ أو تحولٍ وتبديلٍ (إحمود الفقهاء، ٢٠١١-٢٠١٢: ٦٦). فإنّ رصف الكلمات بما فيها من السجع المتوازي بـين المنضـود والممدود ومن الموازنة بين الممدود والمسكوب، أدّى إلى الائتلاف بين اللفظ والمعنى؛ كل إسم مفعول يدلّ على فاعل محذوف يراد بحذفه لفت انتباه السامع أو المخاطب أو القارئ إليه وهو الربّ تعالى لكي يرسل رسالة إلى المخاطب بأنّ محبة الرحمن هي الـتي جعلـت الطلح منضوداً والظل ممدوداً والماء مسكوباً وكلّ هذه الصور تدلّ على اعتدال الطقـس المسيطر على العباد كأنّهم يعيشون في فصل الربيع في حالة مرطّبة لا تنقطع عنهم أبداً كما يدلّ الجوّ العام على هذا الاستمرار والمواصلة والبقاء في نعم لا تمنع عنهم بحيث أنّ الألفاظ بأشكالها الممتدة طولاً ببنائها مبنياً للمفعول، توحي بتلك المواصلة والاستمرار.

وكذلك من الآيات الكريمة قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِـكَ مُتْـرَفينَ» (الآية: ٤٥) و«المترفين» بناؤه للمجهول لعدم الإحاطة بالفاعل الحقيقي للإتراف كشـأن الأفعال التي التزم فيها الإسناد المجازي العقلي الذي ليس لمثله حقيقة عقلية، ولا يقدّر بنحو:

أترفه اللّه، لأنّ العرب لم يكونوا يقدّرون ذلك فهذا من باب: قال قائل، وسأل سائل (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٨١)، وفي قوله سبحانه: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلى ميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الآيتان: ٤٩-٥٠) جاء إسم المفعول بدلاً من فعل «يجمعون» للدلالة على الثبوت والحدوث فقط دون التقيد بالزمان.

وفي قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» (الآية: ٦٦)، «''مُغْرَمُونَ'' محتمل المعنيين؛ المعنى الأوّل: إسم مفعول مشتقٌ مِن ''الغَرَام'' والْغَرَامُ: ما ينوب الإنسان من شدّة ومصيبة وهو أَشَدُّ العذاب، قال تعالى: ''إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً'' (الفرقان: ٦٥)، من قولهم: هو مُغْرَمٌ بالنّساء، أي: يلازمهنّ ملازمة الْغَرِيم فيصبح معنى الآية: إنّا لمعذبون دائمون في العذاب. والمعنى الثاني: إسم مفعولٍ مشتقٌ مِن ''الغُرْمُ'': ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه، أو خيانة، فيصبح معنى الآية: غرمنا في النفقةَ، وذَهَبَ زَرْعُنَا ونحن ملزمون غرامة ما أنفقنا» (راغب اصفهاني، ١٤١٢: ٦٠٦؛ الثعالبي، ١٤١٨: ج ٥، ٣٧٠)، فإذن صيغة إسم المفعول تشمل المعنيين وتجمع بينهما هكذا؛ بأنّهم مخسرون فيما بذروه وبذلوه لزرعهم إذ خاب سعيهم فيجزون بالعذاب الدائم جزاءً بما فعلوه، أو أنّهم مع ذهاب مالهم بغير عوض أصيبوا بالعذاب ولو كانت صيغة غير إسم المفعول لما تؤدّي هذا المعنيين معاً.

وكذلك في قوله سبحانه: «في كِتابٍ مَكْنُونٍ» (الآية: ٧٨)؛ المكنون إسم مبني للمفعول وعلى غرار الفعل المبني للمجهول وفيه اتّساع دلالي لا يمكن حصر مصاديق المستور ففيه ايجاز قصر. لكنّ في الحقيقة هو جذوة النار تحت الرماد والخاصية الحقيقية لهذه الحالة هي بقاء النار دون الإخماد ودون التبدّل بالرماد فلهذا سُمّي الكانون كانوناً، فبناء على هذه المقدّمة اللغوية الدّلالية يمكن القول بأنّ المعاني في *القرآن* ساخنة على الدوام ينطفئ بها كل جيل يظهر على صفحة الحياة. «والمجاز في إسناد الوصف بالكون في كتاب مكنون إلى *قرآن كريم* على طريقة المجاز العقلي باعتبار أنّ حقيقة هذا المجاز وصف مماثل *القرآن* ومطابقه لأنّ المماثل ملابس لمماثله» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٣٠٥).

وثانياً: فئة الأفعال؛ ورد الفعل الماضي ٣٢ مرّة، ٣٠ مرّة على صيغة المعلوم ومرّتين مبني للمجهول وكذلك بلغ عدد تواتر الفعل المضارع في السورة ٣٢ مرّة كالفعل الماضي

٣١ مرّة على صيغة المعلوم ومرّة واحدة مبني للمجهول. ومن الآيات قوله سبحانه: «إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَة، لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَة» (الآيتان: ١-٢)، القيامة ممّا سيقع في الاستقبال والفعل الماضي يدلّ على تحقق الموضوع وهو وقوع القيامة وعدم وجود نفس تكذّب بل كلّ النفوس تصدق يوم الدين والقيامة.

وكذلك قوله تعالى: «فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا» (الآية: ٦) «''كان'' هنا بمعنى صار لما بينهما من التقارب في المعنى، فإنّ المقصود بـ ''صار'' هو التحول والصيرورة التي قد تقتضي الزمن الطويل بخلاف ''كان'' فإنّها تطوي الزمن فقوله تعالى: ''فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا'' كأنّ حالتها الجديدة حاصلة قبل النظر والمشاهدة وكأنّها هي هكذا منذ القدم» (السامرائي، ٢٠٠٣: ج ١، ١٩٧-١٩٨). وفي هذه الآية الكريمة: «جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» (الآية: ٢٤) «كان» بمعنى الماضي المتجدد والمعتاد؛ أي:كان الفاعل يعتاد الفعل لكون الخبر فعلاً مضارعاً وبالنسبة إلى المثال: هؤلاء المؤمنين بصورة مستمرة ومعتادة كانوا يعملون بما يعلمون من الأفعال الحسنة ويجتنبون من الحرام.

وهكذا من الأمثلة قوله سبحانه: «لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» (الآية: ٦٥)، «تَفَكَّهُونَ» على وزن «تَفَعَّلَ» ومن معاني هذا الباب؛ التجنّب نحو: تَأَثَّمَ؛ أي: تجنّب عن الإثم وكذلك «تَفَكَّه» يدلّ على هذا المعنى؛ أي: التجنّب وفي هذه الكلمة يتجنّب عن الشيئين: قطف الفاكهة وأكلها وعن الفكاهة؛ المسرّة والمعنى الأوّل على قول البيضاوي وهو يقول: «الفكه؛ التنقّل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث» (البيضاوي، ١٤١٨: ج ٥، ١٨١). والمعنى الثاني على قول آلوسي وهو يقول: «معنى «تَفَكَّهُونَ»؛ أي: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهي المسرّة، ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشيء وتفكّه من أخوات تحرّج وتحوّب» (آلوسي، ١٤١٥: ج ١٤، ١٤٨)، وفي الحقيقة كما يبدو من الآيات وسياقها أراد الله تعالى المعنيين في هذه الآية لأنّ هناك علاقة تناسبية بين عدم قطف الفاكهة وعدم الفكاهة والمسرّة لأنّ الفاكهة تؤكل عند الفرح والمسرة والفكاهة والرّاحة.

وفي قوله عزّ وجلّ: «لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفُونَ» (الآية: ١٩)،كما يبدو لم يقل الله سبحانه وتعالى: «لا يتصدعون» لأنّ في باب التفعيل دلالة على المبالغة كأنّه يريد أن يقول

بأنّ عناية الربّ لا تسمح بأن ينعزل هؤلاء عمّا كانوا فيه وأن يقع بينهم وبين الملذّات فاصلٌ ما. وكذلك من الآيات قوله تعالى: «وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» (الآيتان: ٢٠-٢١) لم يأت الله تعالى بـ«يختارون» بدلاً من «يتخيرون» لكي يراعي الجوّ العام وهو الامتداد؛ أي: نرى الامتداد الطولي لهذه الكلمات لتدلّ زيادة المباني على كثرة المعاني هذا من جانب ومن جانب آخر، الفرق بين الاختيار والتخيّر واضح تماماً وهو أنّ الاختيار بين الشيء وما يقابله ولكنّ التخير يمكن فيه الجمع بين الشيئين معاً واختيار أحدهما أو عدم اختيارهما و«فعل ''يَتَخَيَّرُونَ'' يفيد قوّة الاختيار. أمّا الاشتهاء فهو مصدر اشتهى، وهو افتعال من الشهوة التي هي محبة نيل شيء مرغوب فيه من محسوسات ومعنويات، يقال: شهي كرضي، والأكثر أن يقال: اشتهى، والافتعال فيه للمبالغة» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٧٢).

وأيضاً قوله عزّ وجلّ: «وكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ» (الآية: ٤٦)، «صيغة المضارع في ''يُصِرُّونَ'' تفيد تكرر الإصرار» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٨١). وهكذا من الآيات قوله تبارك وتعالى: «ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ» (الآية: ٦٢) «وجيء بالمضارع في قوله: ''تَذَكَّرُونَ'' للتنبيه على أنّ باب التذكر مفتوح فإن فاتهم التذكّر فيما مضى فليتداركوه الآن» (المصدر نفسه: ٢٩٢).

أمّا فعل الأمر فهو ورد في اللغة العربية بصيغ عدة لكن يتناول المقال أربع صيغ مشهورة عند النحاة وأهل اللغة وهي «فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، إسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر» وفي السورة التي نحن في صددها لا نتناول كلّ هذه الأنواع بل نعرض للأوامر الواردة فيها، ومن هذه الأوامر قوله سبحانه: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الآيتان: ٤٩-٥٠)، «افتتح الكلام بالأمر بالقول نظراً للأهمية به كما افتتح به نظائره في آيات كثيرة ليكون ذلك تبليغاً عن اللّه تعالى. فيكون قوله: ''قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ'' إلخ استئنافاً ابتدائياً لمناسبة حكاية قولهم: ''أَ إِذا مِتْنا وكُنَّا تُراباً'' (الآية: ٤٧)» (إبن عاشور، د.ت: ج ٢٧، ٢٨)، «''قُلْ'' إشارة إلى أنّ الأمر في غاية الظهور، وذلك أنّ في الرسالة أسراراً لا تقال إلّا للأبرار، ومن جملتها تعيين وقت القيامة» (فخر رازي، ١٤٢٠: ج ٢٩، ٤١٣). صيغة «قل» تدلّ على أنّ

هناك قولاً يجب أن يقال وهو وقوع أمر حتمي أي: وقوع القيامة ونستطيع أن نقول فيه التهديد لرد إنكارهم البعث.

مِن الأوامر التي وردت في السورة قوله تعالى: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» (الآيتان: ٧٤-٩٦) ورد الأمر بالتسبيح في موضعين وهو للحضّ عليه لأهميته فجاء خلال السورة وفي ختام السورة. يقول الزمخشري في الكشاف عن هذه الصيغة الأمرية: «فأحدث التسبيح بذكر إسم ربك، أو أراد بالإسم: الذكر، أي: بذكر ربّك» (زمخشري، ١٤٠٧: ج ٤، ٤٦٨).

٦. النتيجة

١. يتناسق كل ما يسرد تناسقاً متسلسلاً منطقياً في كل مقطع.

٢. ترتبط أغراض الترتيب والتقديم بالطوابع الوجودية والنحوية، والنفسية أي ترجع فلسفة الترتيب والتقديم إلى سلسلة منطقية نراها في صفحة الوجود ليشرح لنا بدايات كل شيء ونهاياته، أو لترسيم الصورة الحقيقية لنتشوق إليها كما ترجع إلى حالة نفسية كالتهويل والتخويف ليكفّ المذنبين عن المعاصي والضلال.

٣. يستخدم سبحانه قرينة الأداة الجارة إمّا للتضمين ليتّسع المعنى بمثل ما نرى في «لايصدعون عنها» من معنى الصدور أي لا يصدر الصداع عنها لخمارها كخمور الدنيا، أو من معنى السببية لا يقع لهم صداع ناشيء عنها، أي فهي منزّهة عن ذلك بخلاف خمور الدنيا. فإذا ذهبنا إلى وجود التضمين في حرف «عن» بما فيها من المعاني فلقد اعترفنا بتعددية الوقائع الدلالية التي يمكن أن تختفي وراء حرف واحد تمتع بخاصية توسيع دائرة الدلالة. ما سمّي في علم اللغة والدلالة باقتصاد العلامات.

٤. والفرق بين قوله تعالى: «فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الشعراء: ٣٨) وما ورد في سورة الواقعة: «لَمَجْمُوعُونَ إِلى ميقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الآية: ٥٠) من حيث استخدام «اللام» في الأولى و«إلى» في الأخرى: هو أنّ اللام يدلّ على المقابلة التي حدثت بين موسى وفرعون والسحرة وبنيت الجملة الأولى بناءاً ماضوياً للإخبار عن ذلك التقابل الذي دار

بينهم. لكن في الآية الثانية تكون «إلى» بمعنى انتهاء الغاية وبنيت الجملة الثانية بنـــاءاً اسميـــاً للدلالة على تلک الاستمرارية التي تستوعب جميع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم.

٥. يستخدم سبحانه قرينة الأداة التحضيضية مرة للحثّ والدعوة إلى التصديق ومـــرة للحثّ والدعوة إلى التذكر ومرة للحثّ والدعوة إلى الشكر من الله تعالى للنِّعَم العديـــدة التي منّ بها على كلٍّ منّا أو للتذّكر والاعتبار، ولإبراز عجزهم في أوضح صورة.

٦. القيمة الدّلالية لكلّ كلمة ترادف أخرى لاتظهر الّا بالعلاقات الائتلافيـــة وتحليـــل المعنى والدلالة عبر العلاقات الاستبدالية بمثل ما رأينا في **الأرائك والسرر**.

٧. العلاقات الائتلافية تكشف الستار عن استخدام صياغات دالّة على قصـــدية لـــو استبدلناها في ضوء العلاقات الاستبدالية بصياغة أخرى كالفرق بين (مِتنـــا) و(مُتنـــا) في الاستعمال القرآني هو أنّ الذي يظهر في فعل اللغة المشهورة (مات يموت) أنّه يقع في سياق ذكر الموت على أنّه حقيقة لابدّ من وقوعها، وأنّه بعدُ لم يقع، وليس فيه الخطاب للأموات إنّما هو خطابٌ يختصّ الأحياء. أمّا مكسور الميم (مِتُّ) وأخواتها فتأتي في الذكر الحكيم في معرض التعجيز من رجوع الميت إلى الحياة الدنيا، ومقام آياته مقام فناء، فكأنّ المكســـور خاصٌّ بالتعبير عن البلى، مرور الدهور على موت الإنسان.

٨. يوظّف سبحانه قرينة الصيغة توظيفاً دلالياً كما يستخدم سبحانه إسم الفاعل الذي شغل حيّزاً واسعاً في السورة (إذ بلغ عدد تواتره **٢٣** مرّة) للدّلالة على أغراض كثيرة نحـــو حدث مرتقب من دون تقييد بزمان، كما يدلّ على الشدّة أحياناً وما إلى ذلک.

٩. استعمل إسم المفعول كثيراً كإسم الفاعل في السورة إذ بلغ عدد تواتره **٢٢**مرّة وهو يدلّ على معاني عظيمة أيضاً كالدلالة على ثبات النعم في الجنة دون أي تغـــييرٍ أو تحـــولٍ وتبديلٍ في بعض من الأمثلة الواردة في السورة.

١٠. في قوله سبحانه: «لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُـــونَ» (الآيـــة: ٦٥) وردت صيغة «تَفَكَّهُونَ» على وزن «تَفَعَّلَ» ومن معاني هذا الباب؛ التجنّب وفي هـــذه الكلمة يتجنّب عن الشيئين، أي؛ قطف الفاكهة وأكلها وطرح الفكاهة من النفس. وفي الحقيقة كما يبدو من الآيات وسياقها أراد الله تعالى المعنيين، لأنّ هناك علاقة تناسبية بين

عدم قطف الفاكهة وعدم الفكاهة والمسرّة لأنّ الفاكهة تؤكل عند الفرح والمسرة والفكاهة والرّاحة.

١٢. لم يأت الله تعالى بـ«يختارون» بدلاً من «يتخيرون» في قوله تعالى: «وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» (الآيتان: ٢٠-٢١) لكي يراعي الجوّ العام وهو الامتداد؛ أي: نرى الامتداد الطولي لهذه الكلمات لتدلّ زيادة المباني على كثرة المعاني هذا من جانب ومن جانب آخر، الفرق بين الاختيار والتخيّر واضح تماماً وهو أنّ الاختيار بين الشيء وما يقابله ولكنّ التخير يمكن فيه الجمع بين الشيئين معاً واختيار أحدهما أو عدم اختيارهما و فعل «يَتَخَيَّرُونَ» يفيد قوّة الاختيار.

المصادر

القرآن الكريم.

إبن عاشور، محمّد بن طاهر (د.ت). *التحرير والتنوير*، المجلّد السابع والعشرين، بيروت: مؤسسة التاريخ.

أبو البصل، عبد الناصر (١٩٩٧ م). *مسائل في الفقه المقارن*، عمان: دار النفائس.

أبو عودة، عودة خليل (١٩٨٥ م). *التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة*، الأردن: مكتبة المنار.

إحمود الفقهاء، بلال سامي (٢٠١٢-٢٠١١ م). «سورة الواقعة دراسة أسلوبية»، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط.

الإسكافي، الخطيب (١٩٧٣ م). *درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز*، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

آلوسي، سيّد محمود (١٤١٥ ق). *روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم*، المجلّد الرابع عشر، بيروت: دار الكتب العلميه.

بغدادي، علاء الدين علي بن محمّد (١٤١٥ ق). *لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)*، المجلّد الرابع، بيروت: دار الكتب العلمية.

بيضاوي، عبد الله بن عمر (١٤١٨ ق). *أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل*، المجلّد الخامس، بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمّد بن مخلوف (١٤١٨ ق). *الجواهر الحسّان في تفسير القرآن*، الجزء الخامس، بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

درويش، محيى الدين (١٤١٥ ق). *إعراب القرآن وبيانه*، المجلّد التاسع، سوريه: دارالإرشاد.

الدوري، محمّد ياس خضر (٢٠٠٥ م). *دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني*، جامعة بغداد.

راغب إصفهاني، حسين بن محمّد (١٤١٢ ق). *مفردات ألفاظ قرآن*، بيروت: دار القلم.

زمخشري، محمود (١٤٠٧ ق). *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، المجلّد الرابع، بيروت: دار الكتاب العربي.

سامرائي، فاضل صالح (٢٠٠٣ م). *معاني النحو*، المجلّد الأوّل، القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب.

صادقي تهراني، محمّد (١٣٦٥ ش). *الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسّنة*، المجلّد الثامن والعشرين، قم: نشر فرهنگ اسلامي.

طباطبايي، سيّد محمّد حسين (١٤١٧ ق). *الميزان في تفسير القرآن*، المجلّد التاسع عشر، قم: مكتب النشر الإسلامي لمجمع مدرِّسي الحوزة العلمية.

طبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٢ ش). *مجمع البيان في تفسير القرآن*، المجلّد التاسع، طهران: ناصرخسرو.

طنطاوي، سيّد محمّد (د.ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، المجلّد الرابع عشر، قاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

عسكري، حسن بن عبدالله (١٤٠٠ ق). *الفروق في اللغة*، بيروت: دار الآفاق الحديدة.

العمري، ظافربن غرمان (٢٠٠٤ م). *مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم*، مكّة المكرّمة: جامعة أمّ القرى.

الغذّامي، عبدالله محمد (١٩٩٨ م). *الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفائز، إبراهيم بن محمد (١٩٨٣ م). *الإثبات بالقرائن في الفقه الإسلامي*، بيروت: المكتب الإسلامي.

فخر رازي، محمّد بن عمر (١٤٢٠ ق). *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)*، المجلّد التاسع والعشرين، بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

قونوي، إسماعيل بن محمّد (١٤٢٢ ق). *حاشية القونوي على تفسير البيضاوي*، المجلّد السادس عشر والثامن عشر، بيروت: دار الكتب العلمية.

گيرو، پی ير (١٣٨٠ ش). *نشانه‌شناسی*، ترجمة محمد نبوی، طهران: آگاه.

مسلم، مصطفى و نخبة مِن علماء التفسير (١٤٣١ ق). *التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم*، المجلد السابع، الإمارات العربية المتّحدة: جامعة الشارقة.

المسيري، منير محمود (٢٠٠٥ م). *دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم*، قاهرة: مكتبة وهبة.

مصطفوي، حسن (١٤٣٠ ق). *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*، المجلّد الثالث والخامس والحادي عشر والثالث عشر، بيروت: دار الكتب العلمية.

نخبة مِن علماء التفسير بإشراف مصطفى مسلم (١٤٣١ ق). *التفسير الموضوعى لسور القرآن الكـــريم*، المجلد السابع، الإمارات العربية المتّحدة: جامعة الشارقة.

ياسين، خليل (١٩٨٠ م). *أضواء على متشابهات القرآن الكريم*، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

يونس علي، محمّد محمّد (٢٠٠٧ م). *المعنى وظلال المعنى أنظمة الدّلالة في العربية*، بيروت: دار المـــدار الإسلامي.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی